الشَّيخ الشهيد الربيع بوشامة – حياته وآثاره

The Sheikh martyr Al- Rabiee Bouchama his life and its effects

خالد حموم

جامعة محمَّد لمين دباغين سطيف 2 (الجزائر)، khaled_dz2011@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/11/20 تاريخ القبول: 2023/05/18 تاريخ النشر: 2023/06/18

الملخص:

الشَّيخ الشهيد الربيع بوشامة من خيرة أبناء جمعية العلماء المسلمين الجزائريِّين، ومن الأوائل الذين اتصلوا بالشَّيخ عبد الحميد بن باديس، الذي أصبح شيخه وقدوته في العمل الإصلاحي.

أحاول من خلال هذا البحث إماطة اللثام على هذه الشَّخصية العلمية الإصلاحية والثورية التي لم تحض بالاهتمام والدراسة كثيرًا، وذلك بتتبع مسار حياته، بالحديث عن ميلاده ونشأته وتحصيله العلمي، ونشاطه التعليمي والإصلاحي، ونشاطه في الحركة الوطنية، وانضمامه للثورة التحريرية واستشهاده، وأختم البحث بالحديث عن الآثار التي تركها الشَّيخ وأهمها على الإطلاق ديوان الشهيد الربيع بوشامة الذي جمعه وقدم له المؤرخ جمال قنان.

الكلمات المفتاحية: الربيع بوشامة– الإصلاح – الشعر – الحركة الوطنية – الثورة التحريرية.

Abstract:

Sheikh martyr Al- Rabiee Bouchama is one of the finest sons of the Algerian Muslim Scholars Association, and among the first to contact Sheikh Abd El Hamid bin Badis, who has become his sheikh and role model in the reform work.

Through this research, I am trying to shed light on this reformist and revolutionary scientific figure, which did not garner much interest and study, by tracking the course of his life, by talking about his birth, upbringing, educational attainment, and his educational and reform activities, his activity in the national movement, and his joining to the editorial revolution and his martyrdom, and I conclude the research by talking about the effects That Sheikh had left, the most important of which was the Diwan of the Martyr Al- Rabiee Bouchama, Collected and presented to him by the historian Jamal Gannan.

Key words: Al- Rabiee Bouchama - Reform - Poetry - National Movement - Editorial Revolution.

المؤلف المرسل: خالد حموم، **الإيميل:** khaled_dz2011@yahoo.fr

1. مقدمة:

رغم تعرض الجزائر مع مطلع القرن التاسع عشر للاحتلال الفرنسي الغاشم والذي عمل جاهدًا على القضاء على مقوماتها الحضارية عن طريق تفقير شعبها وتجهيله.... إلَّا أنَّها أنجبت الكثير من العلماء والمصلحين الذين تصدوا لمشروعها البغيض، ومن بين هؤلاء العلماء نذكر الشَّيخ الشهيد الربيع بوشامة.

هذا الشَّيخ الذي بذل الغالي والنفيس في سبيل وطنه الجزائر، حيث سعى جاهدًا في نفض غبار الجهل عن أبنائه، بتعليمهم وإصلاح شؤونهم، كما سعى لتخليصهم من براثين الاحتلال الفرنسي ليعيشوا حياة الأمان والحرية.

ويهدف هذا البحث للتَّعريف بشخصية الشَّيخ الربيع بوشامة بذكر مسار حياته والآثار العلمية التي خلفها بعد استشهاده، ويعالج الإشكالية التَّالية: كيف كانت حياة الشَّيخ الربيع بوشامة ؟ وما هي أبرز مؤلفاته ؟

وقد طرحت من أجل الإجابة على هذه الإشكاليَّة العديد من التَّساؤلات: متى ولد الشَّيخ الربيع بوشامة، وكيف نشأ ؟ متى بدأ نشاطه التَّعليمي والإصلاحي ؟ وكيف كان رد فعل سلطات الاحتلال الفرنسي من هذا النَّشاط ؟ وهل مشاركته في النضال السِّياسي والثورة التَّحريريَّة جعلته يتخلى عن نشاطه التَّعليمي والإصلاحي ؟ وهل اقتصرت مؤلفاته على تنظيم القصائد الشعرية فحسب ؟

وفيما يخص فرضية الدِّراسة فهي تنطلق من التأكيد على ذلك الارتباط القائم بين الشَّيخ الشهيد الربيع بوشامة والعمل الإصلاحي والتربوي بالإضافة إلى النضال السِّياسي والثورة التَّحريريَّة الجزائرية.

أمَّا المنهجيَّة التي تناولت بها الموضوع فتمثلت في المنهج السردي، حيث قمت بسرد مختلف الحقائق التاريخيَّة كما وردت في مناهلها الأصلية، كما استخدمت المنهج التَّحليلي لإظهار ما أمكن إظهاره من الحقائق والجوانب الخفية.

2. مولده ونشأته وتحصيله العلمي:

ولد الربيع بن الصديق بن الصغير بوشامة في بلدية قنزات ب أيث يعلى بمنطقة القبائل (دائرة بوقاعة ولاية سطيف حاليًا) يوم 29 ديسمبر سنة 1916م، ينحدر من عائلة

أمازيغية، وكان المولود الثاني من بين خمسة إخوة طفلين وثلاث بنات، واشتهر في طفولته بالهدوء والوداعة (بوشامة، 1994، صفحة 3) (بوشامة، 2013، صفحة 29).

بدأ الشَّيخ الربيع دراسته بدخوله مع إخوته المدرسة التقليدية التي تدعى محليًا ب "الجامع" والمعروفة ب "الكتاتيب" في سن مبكرة، ويذكر شقيقه "رمضان" أنَّه دخلها في سن الرابعة من عمره، وحفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز الثانية عشر سنة، على يد الشَّيخ الصديق بن عبد السَّلام. ويذكر أيضًا أنَّه كان محبًا للعلم ولعًا به، يقبل عليه إقبال الجائع الشره على الطعام، كان لا يسمع بظهور شيخ من مشايخ اللغة أو الفقه إلَّا اتصل به وأخذ عنه ما شاء الله له (بوشامة، 2013، صفحة 30).

كما التحق منذ سن السابعة بالمدرسة الفرنسية وأكمل دراسته بها إلى السنة الأخيرة من المرحلة الابتدائية، تفرغ بعد ذلك لتحصيل العلم عند شيوخ وعلماء أبث يعلى وتتلمذ عن الشَّيخ سعيد صالحي عدَّة سنوات، كما أخذ النحو والتجويد والقراءات عن الشَّيخ العياشي مرغيش، وقرأ خليل على الشَّيخ الهاشمي بلمولود، كما أخذ عن كل من الشَّيخ علي الزموري والشَّيخ السعيد بن عمر، والشَّيخ الهاشمي بن الحاج الطيب وغيرهم (الربيع بوشامة، 1994م، ص3–4) (فضلاء، 2000، صفحة 287) (بلقاسمي وآخرون، 2007، صفحة 50) (جحيش، 2007–2008، الصفحات 8–9) ثمَّ انتقل إلى قسنطينة فكان واحدًا من تلامذة الشَّيخ عبد الحميد بن باديس النابهين (بوشامة، 2013، صفحة 30).

فقضى الشَّيخ الربيع بوشامة مرحلة تعلمه يغرف من وعاء العلم والمعرفة ما جاد به الزمن وسمحت به الظروف (جحيش، 2007–2008، صفحة 9) وأظهر حرصًا كبيرًا من أجل التحصيل، وعمد بكل ما يملك من طاقة وجهد إلى الاعتماد على النفس والتكوين الذاتي، وكون من أجل ذلك مكتبة تراثية غنية ومتنوعة منذ مرحلة شبابه الأولى (بوشامة، 1994، صفحة 4).

ويقول عنه شقيقه أيضًا كان كثير القراءة، بحيث لا تكاد تراه ماشيًا إلَّا متأبطًا كتابًا، أو جالسًا، إلَّا وبين يديه شيء يطالع فيه، وكثيرًا ما كان والدنا يُكرِّهُهُ على وضع الكتاب ليجلس إلى المائدة معنا (بوشامة، 2013، صفحة 31).

3. نشاطه التعليمي والإصلاحي:

منذ سنة 1937م أصبح الشَّيخ الربيع عضوًا عاملًا في حركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريِّين، وأسَّس مع نخبة من شباب بلدته قنزات ناديًا للشباب كما كان يساعد الشَّيخ سعيد صالحي في حلقات التَّدريس التي كانت تعقد في مسجد الجمعة الواقع في وسط البلدة (بوشامة، 1994، الصفحات 4-5).

وفي ربيع سنة 1938م أوفدته جمعية العلماء المسلمين الجزائريِّين إلى باريس رفقة الشَّيخ سعيد صالحي لمساعدة الشَّيخ الفضيل الورثلاني في نشاطه الإصلاحي بفرنسا (الربيع بوشامة، 1994م، ص5) غير أنَّ صالح بوشامة يقول أنَّه ذهب لباريس لوحده، لكي يخلف الشَّيخ الفضيل الورثلاني الذي كان قد سافر إلى القاهرة في ذلك العام (بوشامة، 2013، صفحة 30).

وقد كان نشاطه في باريس يضاهي نشاط الشَّيخ الفضيل الورثلاني، وقد لخص الشاعر نشاطه هناك في إحدى قصائده التي يقول فيها:

سل أرض باريس أرضًا وسما عن هدانا ومساعينا الوضَّاء
واسأل الأحرار من أهل الحجى هل وفَّينا وظفرنا بالرضاء
وأقمنا مثلما كنا على شرعة الله وطهر الأتقياء
كلهم يشهد بالحق لنا إنَّنا أهل المعالي والوفاء
هشا الوثَّاب تحقيق المنى وفدى الأوطان من قيد العناء (بوشامة، 2013، صفحة 31).

غير أنَّ إقامته لم تدم طويلًا بهذه البلاد، فعاد إلى الجزائر قبل أن يستكمل الحول بسبب استدعائه من طرف إدارة الاحتلال الفرنسي لإجراء الفحص الطبي للخدمة الوطنية، وربما أيضًا بسبب المضايقات والعراقيل التي كانت حكومة فرنسا تضعها في مواجهة النشاط الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريِّين (بوشامة، 1994، صفحة 5).

وحينما أعفي من الخدمة الوطنية بسبب ضعف بصره التحق بالجامع الأخضر بقسنطينة في أواخر سنة 1938م أو في أوائل سنة 1939م (بوشامة، 1994، صفحة 5) (فضلاء، 2000، صفحة 287) واتصل بالإمام عبد الحميد بن باديس الذي أُعجب بمستوى تحصيله فكلفه بتدريس المستويات الأولى للتلاميذ رواد الجامع، وبقي الشَّيخ الربيع بقسنطينة إلى أن توفي ابن باديس يوم 16 أفريل سنة 1940م، فعاد إلى مسقط رأسه عاقدًا

العزم على المضي قدمًا في الطريق الذي أناره له شيخه وقدوته (بوشامة، 1994، الصفحات 5-6) (فضلاء، 2000، صفحة 287).

شارك بعد عودته لبلدته قنزات في بث الحركة الإصلاحية التي كانت في أوج عزها، ثمَّ انتقل لمواصلة عمله الإصلاحي إلى مدينة خراطة سنة 1942م (بوشامة، 1994، صفحة 6) (جحيش، 2007-2008، صفحة 10) وقيل سنة 1944م (فضلاء، 2000، صفحة 288) و بها عاش مجازر الثامن ماي 1945م رفقة أسرته، حيث قام الجيش الفرنسي باعتقاله وتعذيبه ولم يطلق سراحه إلَّا في أوائل سنة 1946م (فضلاء، 2000، صفحة 287).

وقد كان الشَّيخ إلى جانب نشاطه التعليمي، يعمل على إصلاح ذات البين وإقرار الحق والعدل بين النَّاس، وقد كان النَّاس يركنون إليه ويولونه الثقة لفض النزاعات وحسم الخلافات التي تنشب بينهم حتَّى وإن كانوا لا يعرفون هويته النضالية وانتماءاته التنظيمية، لقد استطاع فض نزاعات وحسم خلافات تعثرت في المحاكم لسنوات طويلة (بوشامة، 1994، صفحة 21).

4. انضمامه للثورة واستشهاده:

واصل الشيَّخ الربيع بوشامة بعد ذلك عمله الإصلاحي في الجزائر العاصمة حاملا رسالة جمعية العلماء المسلمين الجزائريِّين، ونظَّم خلالها قصائد شعرية كثيرة تناولت مختلف الأحداث والوقائع والمناسبات. وعندما اندلعت الثورة التحريرية انظم إليها في الأشهر الأولى من بداياتها، واتصل بالعقيد عميروش، وقد راسله هذا الأخير كثيرًا، والتقيا معًا في قلعة أيث عباس (بني عباس) بنواحي بجاية في اليوم الثاني من عيد الفطر المبارك لعام 1375هـ الموافق ل 13 ماي 1956م، ويبدو أنَّ موضوع هذا اللقاء كان يتصل بالأحوال العامة للمنطقة (بوشامة، 1994، صفحة 19) وأعتقد من جهتي أنَّ اللقاء كان لغرض طلب الدعم المادي والمعنوي للثورة من الشَّيخ الربيع وبلدته قنزات، لأنَّه لوحظ عليه بعد عودته من هذا اللقاء إقامته بضعة أيام في بلدة قنزات وإجرائه لاتصالات كثيرة مع معارفه وأصدقائه (بوشامة، 1994، صفحة 19).

وظل الشَّيخ الربيع بوشامة في اتصال دائم مع جيش التحرير الوطني، وقد زوده بما هو في حاجة إليه من الضروريات عن طريق إقامة شبكات تنظيمية متخصصة لتلبية

هذه الاحتياجات والقيام في نفس الوقت بتجنيد الشباب وتمكينهم من الالتحاق بجيش التحرير، إلى جانب القيام بالنشاط السِّياسي الضروري لمجابهة دعاية العدو المضادة، والعمل على رفع معنويات الشعب للاستمرار في المعركة (بوشامة، 1994، الصفحات 20-21) وعلى إثر هذا العمل الهام الذي كان يقوم به الشَّيخ الربيع لصالح الثورة التحريرية، كان يقول لزوجته من حين لآخر "آه لو يعرف الفرنسيون ما أنا قائم به من المهام سيقطعونني إربًا إربًا" (بوشامة، 1994، صفحة 23، هامش1).

ونتيجة هذا النشاط الدءوب للشَّيخ الربيع المساند للثورة، تعرض لمضايقات سلطات الاحتلال الفرنسي حيث ظهر اسمه في إحدى الجرائد الفرنسية عند أواخر شهر مارس 1957م، ولحسن الحظ لم يكن الاسم صحيحًا في جزئيه فبدلًا من بوشامة الربيع كتب بوشامة طالب. ومع ذلك فقد اتخذ احتياطاته فسافر من العاصمة إلى شرق البلاد مستخدمًا الهوية المهنية كمفتش لمدارس جمعية العلماء (بوشامة، 1994، صفحة 20).

وحينما اشتد عليه الخناق أكثر فأكثر شرع العقيد عميروش في ربيع سنة 1957م في إعداد أوراق السفر للشَّيخ الربيع ليغادر البلاد، كما طلبت منه زوجته بالمغادرة خوفًا على حياته، ولكنه رفض وأجابها بنبرة فيها شيء من الحدة "إذا كان كل واحد يشعر بالخوف ويخرج خارج البلاد فمن يخدم الجيش الذي هو في الجبل" ثمَّ ترجاها أن لا تتطرق إلى هذا الموضوع مرة أخرى، ولوالدته التي كان يراها دائمًا قلقة عليه كان يقول لها أنَّ الخروج مستحيل بالنسبة إليه وأن ظروفه الصحية لا تسمح له بذلك (بوشامة، 1994، صفحة 22).

خلال هذه الظروف الصعبة كان الشَّيخ الربيع يعيش حالة طوارئ حقيقية، فكان يقضي الليل مرتديًا لباسه كاملًا حتَّى جواربه متهيئًا للقبض عليه، مخافة أن يجروه في لباس النوم (بوشامة، 1994، صفحة 22) وبالفعل ففي أواخر سنة 1958م ألقي عليه القبض، وبقي في مراكز الاستنطاق والتعذيب، ويروي لنا أخوه بأنه عذب عذابًا لم ير مثله قط، فبعد الضرب المبرِّح والطويل، التجأ الجلادون إلى لون آخر من التعذيب، حيث أوقفوه مقيدًا وأطلقوا عليه الكلاب، فأكلت لحمه وأسالت دمه وشوهت صورته، ولم يبق له أمل في استمرار حياته ... يقول شقيقه إنَّه اعترف في النهاية بعمله في صفوف جيش التحرير الوطني، كما نسب إلى نفسه كل ما اتهم به رفاقه السجناء، قصد التخفيف عنهم أو إطلاق سراحهم، ويقول أيضًا: إنه لما أوتي به إلى بيته ليثبت بعض اعترافاته وتبريء رفاقه، إنَّه

أصبح لا يُعرف، ولا يكاد الرائي يميز تقاسيم وجهه وملامح خلقته (بوشامة، 2013، صفحة 33).

كما تمَّ اعتقاله في صباح يوم 16 جانفي 1959م بمدرسة الثبات بالحراش، بتهمة تمزيق العلم الفرنسي، وحينما تم استجوابه أنكر أن تكون له يد في ذلك مبينًا في نفس الوقت أنَّه ليس من مهمته كمدير للمدرسة حراسة العلم الفرنسي، وأنَّه كان عليهم أن يعينوا من يحرسه. وقد أدرك العاملين في المدرسة أنَّ سلطات الاحتلال هي من قامت بتمزيق العلم، لأنَّهم وجدوا أثار أحذية عسكرية على طاولات المدرسة (بوشامة، 1994، صفحة 23).

وفيما بين الساعة الرابعة والخامسة مساءً تمَّ إطلاق سراحه، ولكن على الساعة الصفر من صباح يوم غد أي 17 جانفي 1959م أعتقل الشَّيخ الربيع من جديد، وتمَّ تفتيش بيته وأخذوا أوراقه ولفائف الجرائد التي كان يحتفظ بها، وبعد ستة أيام أعادوه إلى المنزل في حالة يرثى لها وعذبوه أمام عائلته، وقاموا بتفتيش منزله مرة أخرى، وأخذوا معهم من شؤونه ما بدا لهم، وأخذوه معهم، ولم تعرف عائلته مكان حجزه رغم بحثها وسعيها الدائم للعثور عليه في مراكز الاعتقال والتعذيب ومحافظات الشرطة. وفي بداية شهر ماي 1959م تمكنت أسرة الشهيد من التعرف على مكان اعتقاله حيث وصلتها رسالة مقتضبة من الشَّيخ الربيع ليست بخطه ولكن تعابيرها من عنده، كان على ظهر غلاف هذه الرسالة أرقام استطاعت أسرته فك رموزها فعرفوا مكان اعتقاله، في مزرعة بوشي قرب لربعطاش، وحينما ذهبت زوجته رفقة أحد تلامذة الشَّيخ الربيع، الشَّيخ محمَّد بوستة للمزرعة، وسألوا عنه أجابهم ضابط فرنسي بأنَّ السلطات العسكرية أخذته مع أحد زملائه صباح هذا اليوم ولا يعلم إلى أين تم اقتيادهما. كان هذا اليوم هو 14 ماي 1959م، وأعلن فيه أحد الجندرمة الفرنسيِّين عن مقتل الشهيد الربيع وزميله أمام بلدية بودواو (بوشامة، 1994، صفحة 23 وما بعدها).

غير أنَّ صالح بوشامة يقول نقلًا عن صالح خرفي في كتابه "الشعر الجزائري" أنَّ الشَّيخ الربيع بوشامة استشهد يوم 13 ماي 1959م رميًا بالرصاص مع رفيقه في جمعية العلماء عبد الكريم العقون (بوشامة، 2013، صفحة 33) ويوافقه في الرأي محمَّد الحسن فضلاء (فضلاء، 2000، صفحة 290) أمَّا شهادة وفاته الموجودة ببلدية بودواو، فتشير إلى أنَّ وفاته كانت في يوم 14 ماي 1959م بقورصو ولاية بومرداس (بوشامة، 2013، صفحة 34).

لقد أشهرت صحافة الاحتلال الفرنسي في محاولة للنيل من معنويات الشعب الجزائري بأنَّ وفاة الشَّيخ الربيع التي صورتها بكونها حدثت أثناء اشتباك وقع بين جيش التحرير وقوات العدو، كما عمدت إدارة الاحتلال إلى إشاعة هذا الخبر بواسطة مكبرات الصوت في مدينة سطيف وفي مراكز الاعتقال الموجودة بالمنطقة لنفس الغاية. وبطبيعة الحال، فإن أحدًا لم يصدق مسرحية مقتله أثناء اشتباك، ومحامي الأسرة نفسه اقترح على أخ الشهيد رفع دعوى ضد الحكومة الفرنسية بتهمة الاغتيال في الوقت الذي كان من المنتظر أن تعرض قضيته أمام المحكمة (بوشامة، 1994، صفحة 27).

لقد كان لنبأ استشهاده رحمه الله وقع الصاعقة في مدينة الحراش وأعتبر يوم حداد عام حيث هرع المواطنون ولأيام طويلة، وبالرغم من ظروف القهر والتعسف التي كانت سائدة، على منزل الفقيد لتعزية أهله ومواساة أسرته (بوشامة، 1994، الصفحات 27-28).

5. آثاره:

من أهم الآثار التي خلفها الشَّيخ الربيع بوشامة ديوانًا مخطوطًا في شتى الأغراض الشعرية الحديثة كالشعر الوطني والاجتماعي والذاتي، جمعه وقدم له المؤرخ جمال قنان وسماه ديوان الشهيد الربيع بوشامة. كما ترك العديد من المقالات والخطب والرسائل لم يصلنا إلَّا القليل منها لمصادرة سلطات الاحتلال الفرنسي لأملاكه.

وذكر المؤرخ جمال قنان أنَّ أسرة الشاعر الربيع بوشامة قالت له أنَّه كان في فترة شبابه الأولى قد نظَّم الكثير من الأناشيد والتي كان يقوم هو نفسه بوضع ألحان لها وتلقينها للأطفال، وحاول استنطاق ذاكرتهم بذكر ولو بيت واحد من هذا الشعر ولكن دون جدوى (بوشامة، 1994، صفحة 33).

ومن الأناشيد التي وصلتنا، مساهمة الشاعر في النشيد المعروف "حيوا الشمال" (بوشامة، 1994، صفحة 33) ويفترض أن تكون مساهمته فيه بذلك المقطع الذي يستعرض مأساة مدينة خراطة أثناء مجازر الثامن ماي 1945م (بوشامة، 1994، الصفحات 134-135) (بوشامة، 2013، صفحة 153 وما بعدها).

وقبل اندلاع الثورة التحريرية عام 1954م بدأ الشاعر الربيع في انتقاء بعض القصائد لنشرها في شكل مجموعة، وقد وجد المؤرخ جمال قنان كراسة كتب عليها ما يلي: "هذه مجموعة شعرية من نظم الربيع بن الصديق بوشامة، أتقدم بها كأعز أثر وألطف تحفة

إلى أبناء العروبة الإسلام عامَّة وحماة الجزائر خاصة"، ولم يسجل الشاعر في هذه الكراسة سوى القصائد التالية: وحي الذكرى، ومن وحي العاطفة، خواطر... وأنات... وعرضت لي... وحياة راع مغمور... (بوشامة، 1994، صفحة 34).

وأشار المؤرخ جمال قنان أنَّه لم يبق من آثار الشاعر قبل اندلاع الثورة التحريرية عام 1954م سوى جزء قليل فقط، فالشعر الذي كتبه قبل الثورة لم ينشر كله في جريدة البصائر (بوشامة، 1994، صفحة 35) وتوافقه الرأي الباحثة سهيلة جحيش حيث قالت أنَّ إنتاج الشاعر الذي سبق الثورة نشر معظمه وليس كله في جريدة البصائر، وباقي جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريِّين، فجريدة البصائر نشرت قصائده في أعدادها التالية: 24- 25- 36- 38- 42- 59- 66- 68- 73- 75- 79- 90- 92- 93- 97- 99- 126- 193- 278- 287- 302- 313 (أي من يوم 23 فيفري 1948م إلى 8 أفريل 1955م) (جحيش، 2007-2008، صفحة 15).

أمَّا بخصوص إنتاجه أثناء الثورة، فقد كان غزيرًا، ولكن للأسف الشديد لم يصلنا منه إلَّا القليل بسبب مصادرة قوات الاحتلال الفرنسي للكثير من جرائده وأوراقه الخاصة، وقيام أفراد أسرته بالتخلص من باقي قصائده التي تتعلق بالثورة والتي كان الشاعر قد أخفاها في مكان عجزت قوات الاحتلال من الاهتداء إليها، إما بحرقها أو إخفاءها عند أشخاص بعيدين ليسوا محل شبهات، وقد قامت أسرته بهذا الفعل بعد ورود معلومات من بعض الذين أطلق سراحهم ينصحونها بأن تبدد وتتخلص من كل ما من شأنه أن يزيد وضعه تعقيدًا وخطورةً. وكان عزاء أسرته في ذلك هو أنَّ الشاعر كان يبعث بنسخ عن كل قصيدة ينظمها إلى جيش التحرير الوطني وأنَّها ربما ستتمكن من جمعها عند شروق شمس الاستقلال (بوشامة، 1994، الصفحات 33-34).

ويستغرب المؤرخ جمال قنان في هذا الشأن عن عدم وجود أي قصيدة للشاعر يحي فيها غرة نوفمبر أو هجوم 20 أوت 1955م وما أعقبه من حملة القمع الوحشية التي شنتها قوات الاحتلال الفرنسية على الشعب الأعزل وعلى القرى و المداشر، وهو الذي يتحسس أدنى حركة وأدنى بادرة في مسيرة الثورة ليسجلها (بوشامة، 1994، صفحة 33).

وسجل المؤرخ جمال قنان شهادة من أحد أصدقاء الشاعر الربيع بوشامة، كونه قد نظَّم قصيدة حول العمل الفدائي المتمثل في رمي القنبلة في حانة "الميلك بار" يوم 30 سبتمبر 1956م، وأنَّ مطلعها هو الآتي:

قف يا بيجو فقد أطلت مقامك إنَّ جيش التَّحرير داس حرامك

(بوشامة، 1994، صفحة 34).

ويؤكد جمال قنان بأن الشاعر الربيع بوشامة قد نظم أيضًا قصيدة حول إضراب الثمانية أيام (28 جانفي إلى غاية 4 فيفري 1957م) وأنَّه استغرق في نظمها عدد أيام الإضراب (بوشامة، 1994، صفحة 34).

وارتأيت من خلال هذا البحث التعريف بأهم الآثار التي خلفها الشَّيخ الشاعر الشهيد الربيع بوشامة، وهو ديوانه الشعري، الذي جمعه وقدَّم له المؤرخ الدكتور جمال قنان، وقامت بطبعه المؤسَّسة الوطنية للنَّشر والإشهار، ونشره المتحف الوطني للمجاهد، في الجزائر، سنة 1994م، وبلغت عدد صفحاته 255 صفحة. واعتمدت لدراسة هذا الكتاب على الطبعة السالفة الذكر. وأشير إلى أنَّ الكتاب أعيد طبعه من جديد سنة 2010م، وقد قامت بطبعه ونشره دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الكائن مقرها بالجزائر، وبلغت عدد صفحاته 272.

وقد وضع المؤرخ جمال قنان في غلاف الكتاب صورة للشَّيخ الشهيد الشاعر الربيع بوشامة وهو في عز شبابه، وبيان أول نوفمبر 1954م. وقدَّم لهذا الكتاب في خمسة وثلاثين صفحة، تناول فيه بالتَّفصيل حياة الشَّيخ الربيع، وعرَّف بمحتوياته من قصائد شعرية. وقد اعتمد للتعريف بحياته في تقديمه لهذا الكتاب، على:

- ذكريات أخته الكبرى وأخيه وزوجته وأخته الصغرى.
- ذكرياته معه.
- أوراقه الشخصية المتبقية.
- جريدة المساء، أعداد (7، 9، 10) أوت، 1986م، مقال بعنوان: جوانب من حياة ونضال الشاعر الشهيد الربيع بوشامة، لمحمَّد ربيعي.
- ملحق الشعب الثقافي، 1 نوفمبر 1975م، مقال بعنوان: الربيع بوشامة حمل القلم والبندقية، لعبد الحميد عبدوس.

– جريدة الشعب، 15 نوفمبر، 1984م، مقال بعنوان: وقفة مع الشاعر الربيع بوشامة، الأخضر بوكشاش (بوشامة، 1994، صفحة 28، هامش1).

ويذكر المؤرخ جمال قنان في تقديمه لهذا الكتاب أيضًا أنَّه احترم إرادة الشاعر الربيع بوشامة، وصدَّر ديوانه بالقصائد التي انتقاها هو بنفسه، وأدرج القصائد الأخرى في إطار العناوين التي تجمعها، كما أدرج جميع الأناشيد التي نظمها قبل سنة 1954م في ركن واحد، وحاول في داخل هذه العناوين العامَّة ترتيب القصائد حسب تسلسل زمني بدءًا بقديمها إلى أخرها. ويشير المؤرخ قنان في هذا الصدد إلى أنَّه لا يملك معلومات عن كل قصيدة تجعله يوفق دائمًا في وضعها في مكانها المطلوب وفق تسلسلها الزمني، ونفس الشيء بالنِّسبة للأناشيد (بوشامة، 1994، الصفحات 34–35).

أمَّا إنتاجه في مرحلة الثورة فقد ارتئ جمال قنان أن لا يخضعه للترتيب السَّابق الذكر لصعوبة تحديد تاريخ القصيدة في بعض الأحيان من ناحية، ولكون موضوعات قصائد هذه المرحلة تكاد تكون واحدة من ناحية أخرى. وبعض القصائد التي تبدو أجنبية عن الموضوع الرئيسي يمكن أن تعتبر بمثابة محاولة نفسية من الشاعر للتخلص من الواقع المأساوي الضاغط إلى ساحة أرحب للنفس مليء الرئتين، ويردف قنان قائلًا بأنَّه لا يستطيع أن يجزم بكون الشاعر قد نجح في محاولاته هذه (بوشامة، 1994، صفحة 35).

وختم جمال قنان مقدمة هذا الكتاب والتي دونها بتاريخ 8 نوفمبر 1986م بالجزائر، بالشكر الخاص والتقدير العميق لكل من ساهم بطريق مباشر أو غير مباشر في نفض بعض الغبار عن شخصية واحد من أبناء الوطن البررة (بوشامة، 1994، صفحة 35).

وبالنَّسبة لمحتويات الكتاب فقد كان ثريًا بالقصائد والأناشيد التي تتناول شتى الأغراض الشعرية الحديثة، مثل الشعر الوطني والاجتماعي والذاتي والإصلاحي، قسمها المؤرخ جمال قنان لعدة مواضيع وهي:

1– مختارات الشاعر، تناول فيها عدَّة قصائد وهي (وحي الذكرى، خواطر وأنات، عرضت لي، حياة راع مغمور).

2– الشعر الوطني والقومي، وفيه من قصائد (قل لباغي، لمن الجسم..؟، سر على الدمع...، فلسطين...، حي ذاك الصريع، أرني حسنًا...، عجبًا لوجهك، يا للاستعمار...،

ساحل المجد...، حي البطولة، ليت شعري، ابني مهلًا، صوت الضمير، رب أنثى، حييت يا ليبيا الشماء، تحية أشقاء، حي في العرب، قل لسعدي، يا شباب العرب، دعاة الحمى مهلًا).

3- الإصلاح والتربية والتعليم، وفيه من قصائد (في عيد العلم، ايه حكام الهوى...، شهيد العلم، غن بالعلم، أقم عيدك، شيدوا للإسلام، أسس على التقوى، بالعلم والآداب...، أيُّها المعلم حسبك).

4- اعتراف وتقدير، تناول فيه عدة قصائد وهي (كبر النفس، علم النور، فزت بالخلد، روح الوفاء، ذكرى ابن باديس، ملهم السجع، أيُّها الصقر).

5- من وحي العاطفة، وفيه من قصائد (النفس بين سلطان العفة ...، أهلًا وسهلًا، ترى فتنة، قل للفتاة، سري دنياي، زهرة، منية النفس، رأيتك في المنام).

6- الطبيعة بين الجمال والقسوة، وفيه قصيدتين وهما (مرحبًا يا ربيع، خراطة بين زلزال وقع، وبركان يتوقع).

7- معاناة ذاتية، تناول فيه عدة قصائد وهي (حي الأبوة، يا أم أنت موصولة، حمى قنزات، ايه يا شادي حنايك، ملهم الشدو، أجمل كائن، برغمك ماي، أيُّها البلبل غرد، عزاء وسلوى، ليت لي مثل الأنامي، ايه حديثك ؟).

8- اجتماعيات، تناول فيه عدة قصائد وهي (مليكة الحسن، ما لهذا الهجوم، في الزواج، مرحى علوت، قل ما تشاء، على رسلكم، تحية وليد، فجعوها).

9- الأناشيد، وفيه من قصائد (نشيد الاستقبال، يا شهاب قد تجلى، فتى العرب، تحية الكشافة، ابنة العرب).

10- شعر الثورة، تناول فيه عدة قصائد وهي (يا فتى الأوطان قم، روح جديدة، حي في الأبطال، حي بنت الكرام، أبواق الاستعمار، عجبًا كيف يرتضي مستنير، فجيعة الطفولة، رثاء شهيد، حياة ثائر في الجبل، من غريب وهو في وطنه، يا صاح مهلًا، إلى الله أخي، مبعث النور، اعمل النار، هنيئًا لك بالحب، سجون مكبوتة، أخي إليك سلامي، الربيع الحزين، جزاء الخيانة، قل لمن يبغي السفور، حقَّق لشعبك غالية الآمالي).

11- متفرقات، وفيه قصائد (في الحشا منك يا فلسطين، جفوتنا، هذا الغرام، تهنئة بمولود، كيف ادعيت الرفق بالحيوان، رسالة إلى إدارة البصائر، الله ما أقساك، استفهم ولا

تتهالك، حاذري من عهود الخائنين، حي في العرب) (بوشامة، 1994، صفحة 251 وما بعدها).

وختم جمال قنان هذا الديوان بذكر تواريخ بعض القصائد اعتمادًا على تاريخ نشرها في جريدة البصائر أو التي سجلها الشاعر بيده. وبفهرس، وكلمة شكر لمديرية المتحف الوطني للمجاهد على مبادرتها النبيلة، والتي لولاها لما تيسر وضع هذا الديوان بين أيدي القارئ (بوشامة، 1994، صفحة 249 وما بعدها).

وعلى العموم ما وصلنا من أثار الشاعر الربيع بوشامة قليل من كثير نتيجة للظروف الصعبة التي عان منها بسبب مضايقات سلطات الاحتلال الفرنسي بترهيبه واعتقاله وتعذيبه ومصادرة أملاكه مرات عديدة، ويأمل المؤرخ جمال قنان أن يكون نشره لهذا الكتاب الذي يحمل عنوان "ديوان الشهيد الربيع بوشامة" حافزًا لجمع ما تبقى من آثار الشاعر الشهيد (بوشامة، 1994، صفحة 34).

6. خاتمة:

في واقع الأمر وجدت صعوبة كبيرة في تتبع مسار حياة الشَّيخ الشاعر الشهيد الربيع بوشامة، فالمعلومات عنه قليلة جدًا، خاصةً فيما يتعلق بطفولته ونشأته وتعليمه، وكذلك نشاطه الإصلاحي، وظروف استشهاده، فالمصادر والمراجع التي وجدتها اهتمت بالحديث أكثر عن قصائده الشعرية.

منذ نعومة أظافره والشَّيخ الربيع محبًا للعلم، شغوفًا به، كما كان محبًا لوطنه مدافعًا عنه بقوة وثبات، بقلمه وبندقيته، وكان من بين علماء الجمعية الذين كان لهم نضال فعال في الحركة الوطنية والإصلاحية، كما أنَّه لم يتأخر في الانضمام للثورة المسلحة حيث ساندها بكل ما أوتي من قوة متحديًا بذلك جبروت وغطرسة المحتل الفرنسي.

رغم استشهاد الشَّيخ الربيع بوشامة وهو في ريعان شبابه (43 سنة) إلَّا أنَّه تمكن من قيادة العمل الإصلاحي والتربوي في مسقط رأسه قنزات، وفي الشرق الجزائري، والجزائر العاصمة، وفي كامل ربوع الوطن، تحت مظلة جمعية العلماء المسلمين الجزائريِّين، والذي أصبح مع مرور الوقت من خيرة أبنائها.

ترك لنا الشَّيخ الشهيد الشاعر الربيع بوشامة ديوانًا شعريًا هامًا ونفيسًا تناول فيه شتى الأغراض الشعرية الحديثة، مثل الشعر الوطني والاجتماعي والذاتي والإصلاحي، وقد

تمكن المؤرخ جمال قنان من نشر هذا الديوان بعد سنوات طوال من البحث والتقصي وجمع القصائد الشعرية من مختلف المصادر خاصةً من أفراد أسرته وكذلك أوراق الشاعر الشخصية وجريدة البصائر وغيرها.

كما ترك الشَّيخ الربيع العديد من المقالات والخطب والرسائل لم يصلنا وللأسف الشديد إلَّا القليل منها لمصادرة سلطات الاحتلال الفرنسي لأملاكه، كما ضاعت الكثير من القصائد الشعرية لنفس السبب.

حاولت من خلال هذا البحث التَّعريف بشخصية الشَّيخ الشاعر الشهيد الربيع بوشامة ونفض الغبار على سيرته العطرة، لكي يكون قدوةً للأجيال القادمة، والتي ننصحها بدراسة حياة أمثال هؤلاء العلماء، خاصةً وأنَّ بلادنا الجزائر أنجبت في الفترة المعاصرة علماء أفذاذ يستحقون كل تبجيل واحترام، وحريٌ بنا أن نجعلهم قدوة لنا لتكملة مسيرة الإصلاح والبناء.

7. الملاحق:

ملحق عبارة عن مقتطفات من قصيدة للشاعر الربيع بوشامة حول مجازر 8 ماي 1945م بخراطة وجاءت بعنوان: "خراطة بين زلزال وقع، وبركان يتوقع"

هب بالحمى وانظر مدى الزلزال وتحسس البركان في إقبال
والحظْ هوادي فيحه وحميمه ودويه المتزايد الصوال
قد شق فوَّهة بعيدًا غورها يرمي بأدخنة نذير خبال
ويصيح من أعماقه بمغفل صيحات إنذار و وشك نزال
"خراطة" باتت مسارح رجة كبرى، توقع أروع الأهوال
وتحسُّ في أطوادها وسهولها كهزة، و تمايد فعال
في كل يوم مرتين يزورها هول ارتجاج مخطر الأعمال
ويذيقها فزع القيامة ساعة من بعد أخرى ضابط الآجال
طوى السَّلام عن الذرى وتجهمت أجواؤها، وسطا الردى في الحال
تلك المنازل أوحشت جنباتها وبدا بها شبح الردى المغتال
قد فرَّ منها أهلها واستبدلوا سكنى الخيام وعيشة الترحال
فالبعض يبكي النازحين ويرتجي في كل حين بطشة الزلزال

والبعض منها قوَّضت أركانها و تخربت لم يبق من أطلال
وهوت على سكانها في وهدة وتعانقوا تحت الثرى المنهال
ما بين مجروح يئن، وميت ومفجع قد لاذ بالإعوال
لم يبق من دنياه غير حشاشة في الجسم، أو قبس من الآمال
أسفا عليك – بليدة – مسكينة رصدتك أحداث بكل مجال
و تداولتك، فما تغيب ملمة إلَّا أتت أخرى بلا إمهال
بالأمس أنت طريدة معروضة للظلم أفناكم بسيف نكال
واليوم أنت فريسة مقهورة في مخلب البركان والزلزال

(بوشامة، 1994، الصفحات 134-135) (بوشامة، 2013، صفحة 153 وما بعدها).

8. قائمة المراجع:

– المؤلفات:

– الربيع بوشامة. ديوان الشهيد الربيع بوشامة. جمع وتقديم جمال قنان، الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طبع المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، 1994.

– بوعلام بلقاسمي وآخرون. موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة. الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، وزارة المجاهدين، 2007.

– صالح بوشامة. الربيع بوشامة حياته وشعره. قسنطينة: نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع، 2013.

– محمد الحسن فضلاء. من أعلام الإصلاح في الجزائر. ج1، الجزائر: دار هومة، 2000.

– الرسائل الجامعية:

– جحيش سهيلة. شعر شهداء الثورة الربيع بوشامة أنموذجا. باتنة: مذكرة ماجستير في الأدب الجزائري، قسم اللغة العربية وأدابها، كلية الأداب والعلوم، جامعة الحاج لخضر 2007-2008.